اللون في شعر أبي طالب المأموني

دراسة سيميائية

إعداد الدكتور

خلف مطلق خلف العازمي

عضو هيئة التدريس، قسم اللغة العربية وآدابها

كليـة التربيـــة الأساسيـة، دولة الكويت

اللون في شعر أبي طالب المأموني "دراسة سيميائية"

خلف مطلق خلف العازمي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية الأساسية، دولة الكويت.

البريد الإلكتروني: Khalaf_alazmi@yahoo.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة اللون في شعر أبي طالب المأموني دراسة سيميائية دلالية، وقد انتظم في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: في الألوان الأحادية، واشتمل على بيان مفاهيم ودلالات ثلاثة ألوان هي الأبيض، والأسود والأحمر. والمبحث الثاني: في ثنائية الألوان، وبيان دلالاتها، واشتمل على خمس ثنائيات هي: الأبيض والأسود، والأبيض والأحمر، والأبيض والأصفر، والأبيض والأخضر، والأسود والأحمر. والمبحث الثالث: في تعدد الألوان، واشتمل على ثلاثية الألوان، ورباعيتها في شعره. وكان من أهم نتائج البحث: توظيف الشاعر للألوان على معهود العرب في دلالاتها لاسيما الإيجابية، والحضور اللافت للون الأبيض في شعره منفرداً ومقترنا مع غيره.

الكلمات المفتاحية: اللون، الشعر، أبي طالب المأموني، دراسة سيميائية.

Colours in the Poetry of Abi Taleb Al- Mamouni
A Semiotic Study

By: Khalaf Mutlaq Khalaf Al-Azmi

Department of Arabic Language and Literature
College of Basic Education
The State of Kuwait

Abstract

This research examines colours in the poetry of Abu Taleb Al-Maamouni through a semiotic study. The research includes three chapters; the first discusses the monochrome colours and it demonstrates the concepts and connotations of three colours: white, black and red. The second chapter handles the dichroic colours and their connotations. The chapter tackles five dichroisms: white and black, white and red, white and yellow, white and green, and black and red. The third chapter displays multiplicity of colors, and it discusses tricolours, and quadruples in his poetry. One of the most important findings of the research is that the poet's employment of colors runs in accordance with the Arabs' tradition especially in their positive connotations. The white colour has been remarkably present in Al- Mamouni's poetry whether lonely or in conjunction with others.

Keywords: colours, poetry, Abi Taleb Al-Mamouni, semiotic study.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن اللون يعدُّ مفتاحًا للدلالة على أمور خفية في نفس الشاعر تتمثل في انفعالاته النفسية، وبيئته الاجتماعية ومعتقداته الدينية، وله أهمية كبيرة في رسم الصورة الشعرية عند الشعراء القدماء منهم والمحدثين، وتعطيها إيحاءات ودلالات واسعة، وتقربها إلى ذهن السامع المتذوق لها.

ولما تتبعت ما حفظته لنا الكتب الأدبية من شعر أبي طالب المأموني، لاحظت حضور اللون فيه بدرجة كبيرة مقارنة بقلة ما ورد عن هذا الشاعر، مما يدل دلالة قاطعة على إدراكه لأهمية اللون واستخدامه وتوظيفه فيما يريد أن يوصله من معان سامية، وتشبيهات رائقة وصور جميلة، فكان ذلك باعثًا لي على تتبع الألوان عنده، وكان ثمرة ذلك هذا البحث الذي وسمته بـ «اللون في شعر أبي طالب المأموني- دراسة سيميائية».

المبحث الأول

أحاديــة الألــوان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اللون الأبيض

الأبيض في اللغة: ضد الأسود يقال: ابْيَضَّ يَبْيَضُّ ابْيِضَاضًا وبَيَاضًا، فهو مُبْيَضٌّ وأَبْيَضُ، قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1]، والبياض أفضل لون عند العرب كما قيل: «البياض أفضل، والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل»[2].

والأبيض أحد الألوان الأساسية يقول النمري: «إن الله خلق الألوان خمسة: بياضًا، وسواداً، وحمرة، وصفرة وخضرة»[3].

وقد وردت تصاريفه عند العرب على أنواع:

النوع الأول: المفرد للمذكر: أبيض، وللمؤنث: بيضاء، فقيل: الأبيض للسيف، وكتيبة بيضاء، وأرض بيضاء، والبيضاء: الحنطة.

النوع الثاني: التثنية: فالأبيضان: الشحم، والشباب، واليومان أوالشهران كما في قولهم: ما رأيته منذ أبيضين.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن؛ للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، (ص: ١٥٤).

(٣) الملمع، لحسين بن عبد الله النمري، تحقيق: وجيهة أحمد السطل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، (ص: ١).

النوع الثالث: الجمع: فالبيض ليالي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهر العربي(١).

وقد ورد في اللغة العربية ثمانية ألفاظ يؤكد بها اللون الأبيض.

يقال: أبيض أملح؛ لما فيه بياض وسواد والبياض أكثر. وأبيض لياح: للأبيض المتلالئ، وأبيض دمرغ أي: شديد البياض، وأبيض فقاعي: خالص البياض، وأبيض صَراح: أي: خالص ناصع، وأبيض يقق: شديد البياض ناصعه، وأبيض لهَق: الشديد البياض أيضًا، وأبيض ناصع، أي: الخالص الصافي(٢).

وقد ورد اللون الأبيض في القرآن الكريم والسنة النبوية إما بمعناه الحقيقي كما في قوله تعالى: {وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ}(٣)، وإما رمزاً للصفاء والنقاء كقوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}(٤)أي: لونها مشرق حسن بهي(٥).

وإما رمزاً للابتهاج والسعادة نتيجة الفوز والفلاح في الآخرة كقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٦)(٧).

وإما رمزاً للنقاء والبراءة والطهر كما في حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - في المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٢٦)، لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤١٤هـ، (٧/ ١٢٤)، مادة (بيض).

(٢) رسالة في الألوان؛ لمحمود شكري الألوسي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، المجلد الأول، الجزء الثالث، (ص: ١١٤-١٢٢).

(٣) سورة الأعراف، آية ١٠٨.

(٤) سورة الصافات، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣).

(٦) سورة آل عمران، آية ١٠٦.

(٧) اللغة واللون؛ أحمد مختار عمر، عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٧م، (ص: ٢٢١).

لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ"(١).

وقد ورد أيضًا مرتبطًا ببعض المعتقدات الصحيحة في شريعة الإسلام؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»(٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ... »(٣).

وعَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»(٤).

ويدل الأبيض في عرف العرب أيضًا على المكانة الاجتماعية لمن يوصف به، وعلى أنه شخص كريم، قال سبيع بن الخطيم(٥):

ومجالس بيض الوجوه أعزة حمر اللثات كلامهم معروف

فالشاعر يفخر بقومه؛ لأنهم بيض الوجوه أعزة.

(١) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، (١/ ٢٣) (٦٣).

(٢) صحيح مسلم؛ لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، (١/ ١٤٥) (١٦٢).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢١٧) (٢٤٧).

(٤) سنن ابن ماجه؛ لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، (٢/ ١٤١٨) (٤٢٤٥).

(٥) الأصمعيات لعبد الملك بن قريب الأصمعي، المحقق: احمد محمد شاكر- عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م، (ص: ٢٢٣).

وإذا مدح الرجل أو المرأة بالبياض فيقصد أنه خال من العيوب والنقاص، قال حسان بن ثابت[١]:

ففجعني، لا وفقَ اللهُ أمرهُ بأبيَ، وهابٍ، قليلِ التجهمِ

ويحمل اللون الأبيض دلالة الحسن والجمال عند المرأة، قال البحتري[٢]:

بيضاءُ أَوقَدَ خَدَّيها الصِبا وَسَقى أَجفانَها مِن مُدامِ الراحِ ساقيها.

تلك هي الدلالات الأساسية للون الأبيض، وله دلالات استثنائية سلبية فهو مذموم في المشيب؛ لكونه مؤذنًا بدنو الأجل، وتولي زمان الشباب، وفي كونه وصفًا لبعض الأمراض الجلدية كالبرص[٣].

وفي شعر أبي طالب المأموني برزت دلالات متعددة للون الأبيض، فيصف بالبياض سيوف ممدوحه الصاحب ابن عباد فيقول[٤]:

فيا سقاك أَخُو جفن السَّحَاب حَيا يحبو ربا الأَرْض من نور الرياض حبا

ذُو بارق كسيوف الصاحب انتضيت ووابل كعطاياه إِذا وهبا

ففي هذين البيتين يدعو لمحل إقامة ممدوحه بالغيث والسقيا من سحاب مطبق بالسماء، يكسو ربا الأرض بالأزهار، وهذا السحاب يتلألأ البرق من خلاله صفاء وضياء ولمعانًا كما تلمع سيوف ممدوحه حينما تنتضى من أغمادها، وهذا من التشبيه المقلوب فالأصل أن تشبه السيوف بالبرق لا العكس، لكنه لعظيم مكانة ممدوحه عنده فإنه يرى أن سيوف الصاحب أعظم صفاء ولمعانا من البرق.

(١) ديوان حسان بن ثابت؛ لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ عبدأ مهنا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، (ص: ٢٢٩)، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، لإبراهيم محمود خليل، ضمن مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد ٣٣، ٢٠٠٦م (ص: ٤٤٣، ٤٤٤).

(٢) ديوان البحتري؛ لأبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثالثة، (٤/ ٢٤٠٩).

(٣) اللون ودلالته في شعر البحتري؛ نصرة محمد شحادة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الخليل- فلسطين، ٢٠١٣م، (ص: ٤).

(٤) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة الرشاد- بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، (ص: ١٠٧).

ويمضي الشاعر المأموني في نسبة هذا اللون إلى ممدوحه الوزير الصاحب بن عباد فيصف به أياديه الكريمة، وإسباغه النعم والإكرام فيقول(١):

أَسِير عَنْك ولي في كل جارحة ... فَم بشكرك يجْرِي مقولا ذربا

وَمن يرد ضِيَاء الشَّمْس إِن شَرقَتْ ... وَمن يرد طَرِيق الْغَيْث إِن سكبا

فهو يشبه إنعام ممدوحه عليه، وإكرامه له بضياء الشمس عند الشروق، فهذه النعم ذات صفاء ونقاء بلا منٍّ ولا أذى، وهي ظاهرة على الشاعر لكل أحد، ومنتشرة كما ينتشر ضوء الشمس عند الشروق، ولا يحتجب عن الناس، وهو وإن أكثر المدح والشكر على ذلك، وانشغل به بكل جوارحه، فإنه لا يمكن أن يوازي ذلك كرم ممدوحه، وإنعامه، ولا يستطيع رده فكما لا يمكن لأحد أن يرد ضياء الشمس.

ويطالعنا لون البياض في مقطوعات شعرية كثيرة تتعلق بالطعام والشراب الذي يبدو أنه كان مولعًا به لحد الشره، فيقول في السكنجبين(٢):

ومستنتج مَا بَين خل وسكر ∴ دوائي مَن دائي بِهِ وشفائي

رَأَيْت بِهِ فِي الكأس أعجب منظر ... مذاب عقيق فيهِ جامد مَاء

فمنظر السكنجبين في الكأس لشدة بياضه، وصفائه كأنه مذاب العقيق في الثلج.

وَله في الترنجبين(٣)قوله(٤):

وسكر لَيْسَ من ∴ السكر الْمُسْتَخْرج

أَبيض كالكافور أَو ... كَاللُّؤْلُؤِ المدحرج

---

(١) المصدر نفسه (ص: ١٠٩).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٠٥). السكنجبين: شراب مركب من خل وعسل، ويراد به كل حامض وحلو. انظر: الألفاظ الفارسية المعربة، لآدي شير، دار العرب للبستاني- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، (ص: ٩٢).

(٣) الترنجبين: طل حلو أكثر ما يسقط بخراسان، وما وراء النهر، وأجوده الأبيض، انظر: الألفاظ الفارسية المعربة (ص: ٣٥).

(٤) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٢٦).

فشبهه في بياضه، وصفاء لونه ونقائه بالكافور، وكذلك في حال جفافه وتماسكه لا تزول عنه هذه الصفات، فهو يشبه حبات اللؤلؤ المكوَّرة.

وَله في الرقَاق[١]:

خبز الأبازير مني كل من بترهات الْأكل قد يشهر
وَعِنْدنَا مِنْهُ أتراس من الفضة قد رصعها الْجَوْهَر
كأصحن الكافور قد حشدت وذر في أوجهها العنبر

فهنا يصف خبز الأبازير بأنها كأتراس الفضة المرصعة بالجوهر في استدارتها، وصفاء لونها، وبهاء حسنها، ثم يصفها ثانية بصحون الكافور التي ذر عليها العنبر فلها بياض الكافور، وأبازيرها عنبر في طيب ريحها قد جمعت بين حسن اللون وطيب الرائحة.

وَله في اللوز الْيَابِس[٢]:

ومستجن من الجانين مُمْتَنع بجبة لم يحكها كف نساج
در تضمن من عاج تضمنه فِي البر لَا الْبَحْر أصداف من العاج

فشبه اللوز بالدر في صفائه وحسنه وبياضه، وشبه بالعاج الأبيض وبأصداف البحر وكلها ذات لون أبيض بهيج.

وَقال في الجليد[٣]:

حِجَارَة من صَنِيع الدَّهْر تمتعنا ببردها وضرام القيظ يستعر

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٦٢). الرقاق: نوع من الخبز رقيق وخفيف، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، (١/ ٢٣٥) مادة (رقق). والأبازير: التوابل، مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان- بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (ص: ٣٤) مادة (بزر)، والترهات: الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة، مختار الصحاح (ص: ٤٦) مادة (تره).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٢٤).

(٣) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٥٧).

كَـأَنَّـهَـا قـطـع الـبـلـور لَـيْـسَ بـهَـا نـقـب وَلا أثـر بـاد وَلا كـدر

فهذه الحجارة من الثلج تشبه قطع البلور الأبيض فهي صافية ناصعة البياض بلا كدورة ولا نقوب أو ندوب تشوه لونها.

وقال في أعمدة القند[١]:

أنـابـيـب مـن الـقـنـد عـلـى الأطـبـاق مـبـيضـه
كَـأَن الْـجَـام كـف وَهِـي أَطْـرَاف لَـهَـا بضـه
حـكـت أعـمـدة صـيـغـت مـن الـثَّـلـج أَو الـفضـه

فهذه الأنابيب من القند المنظومة على الأطباق البيضاء تشبه أعمدة الثلج، أو أعمدة الفضة، وكلاهما ناصع البياض، وشديده.

وتارة أخرى نجده يصف به بعض الآلات المستخدمة في عصره فيقول في الاصطرلاب[٢]:

وشـبـيـه لـلـشـمـس يسـتـرق الْأَخْـبَـار مـن بَـيـن لـحـظـهـا في خَـفَـاء
فـتـراه أدرى وَأعـرف مِـنْـهَـا وَهُـوَ في الأَرْض بِـالَّـذِي في السَّـمَـاء

فهو شبيه للشمس في بياض ضوئها وشدة لمعانها، ولعل ذلك لكونه مطلياً بفضة ونحوها مما يضفي عليه ذلك البريق واللون.

وفي المقراض[٣]:

وصـاحـبـيـن اتـفـقَـا عـلـى الْـهـوى واعـتـنـقـا
وأقسـمـا بـالـود والإِ خـلاص أَن لَا افْـتَـرقَـا
ضـمـهـمـا أَزْهَـر كـالـنـجـم بِـهِ قـد وثـقـا

فوصف المسمار الذي جمع المقراضين بأنه أبيض عتيق البياض حسن، وهو أحسن البياض كالنجم في بياضه، وصفاء لونه ولمعانه.

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٠٦).

(٣) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٧٨).

وَفي المنشفة[١]:

منشـــفة خـمـلـهـا تـخـال بهَـا قـد فـت كـافـوره عـلـى طـبـق
كَـأَنَّـمَـا أنـبـتـت خـمـائـلـهـا مَـا ارتشـــفـت مـن لآلـئ الـعـرق

فخمائل المنشفة وأهدابها بيضاء كالكافور، ومستنيرة مشرقة كأنها نبات سقي بقطرات ماء العرق المتلألئة.

وَفي الشرابية[٢]:

شـمس لَهَا من نَفسـهَا أرجل سِـتّ إِذا مَـا شِـئْـت أَو أَربع
تـنـوء بـالـكـوز لـظـئـر لَـهُ تحضـنـه الـدَّهْر وَلا ترْضـع

فشبه الشرابية بالشمس في لمعانها وبريقها وبياض لونها، وذلك لما طليت به وموِّهت مما أكسبها هذا المنظر الحسن.

المطلب الثاني: اللون الأسود.

السواد: نقيض البياض، وسواد الناس عوامهم، وكل عدد كثير[٣].

وباستقراء كلام العرب نجد أن الكلمات العربية الدالة على اللون الأسود أقسام:

الأول: ما يدل على اللون مجرداً، أو على شـدة السـواد مثل: حليب، وحلبوب، وأدجن، وأدعج، وأدغم، وأدهم، وأسحم، ونحو ذلك.

الثاني: ما يدل على قبح السواد، مثل: سُخام، وسُخامي، ودُحسمان، وزومح.

---

(١) المصـدر السـابق (ص: ١٧٩)، الخمل: الهدب، الصـحاح تاج اللغة وصـحاح العربية، إسـماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٤/ ١٦٨٩)، مادة (هدب)، فت: أخذ الشيء بأصبعه ودقه. لسان العرب (٢/ ٦٤) مادة (فتت).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شـعره، لغته (ص: ١٧٣)، الكوز: وعاء له عروة يشـرب به. فقه اللغة وسـر العربية؛ لعبد الملك بن محمد بن إسـماعيل الثعالبي، المحقق: جمال طلبة، الناشـر: دار الكتب العلميّة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، (ص: ٣٤)، والظئر: المرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها. المصباح المنير (٢/ ٣٨٨) مادة (ظأر).

(٣) لسان العرب (٣/ ٢٢٤) مادة (سود).

الثالث: ما يدل على عظم السواد، مثل: دحامس، ودُخشم، ودخامش[١].

وللون الأسود دلالات عند العرب منها:

أنه يدل على القبح واللؤم قال سحيم[٢]:

فلو كنت ورداً لعشقني ولكن ربي شانني بسواد

وسواد الوجه قد يدل على سوء السمعة بين الناس، وعلى أثر الهزيمة في القتال، ومن ذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه[٣]:

وإن نلق قيس بن امرىء القيس بعده نزد في سواد وجهه لون حالك

أو الغم والحزن والنكد، ومن ذلك قوله أيضًا[٤]:

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحت سودا وجوههم كلون الإثمد

وقد يكنون بالسوداء القدر العظيمة التي اسودت من كثرة الطبخ؛ لكرم أهلها، قال النابغة[٥]:

له بفناء البيت سوداء فخمة تلقم أوصال الجزور العراعر

وقد يستخدم في الدلالة على الكثرة، قال حسان[٦]:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وإذا قيل: فلان كثير سواد اللحم فهو جسيم، أو قيل: الموت الأسود فهو الموت خنقًا[٧]،

---

(١) اللغة واللون (ص: ٤٥). رسالة في الألوان (ص: ٧٨)

(٢) ديوان سحيم، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٥٠م، (ص: ٢٦).

(٣) ديوان حسان (ص: ١٧٦).

(٤) ديوان حسان (ص: ٦٦)

(٥) ديوان النابغة الذبياني، لزياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، الغطفاني، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، القاهرة، (ص: ١٧٥).

(٦) ديوان حسان (ص: ١٨٤).

(٧) ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب (ص: ٤٤٥، ٤٤٦).

وكذلك ارتباطه بالليل والظلام مما يجلب مشاعر الخوف، ويؤدي إلى النفرة عنه[١].

وقد اشتمل شعر المأموني على بعض دلالات اللون الأسود فمن ذلك قوله في حجر الحمام[٢]:

لحجر الْحمام عِنْدِي يَد وَمِنْة لست أؤديها

وهو لرجلي صيقل لا يني عن طبع في الجل ينقيها

كأنها كورة نحل إِذَا غمستها في الحبر تَشْبِيها

فحجر الحمام كريم على الشاعر، وله عليه يد ومنة عظيمة هي صقل رجله وتنقيتها من الأوساخ حتى تصبح كأنها خلية النخل المغموسة في الحبر من شدة السواد الذي يعلوها من هذا الحجر ذي اللون الأسود، وقد دل لون حجر الحمام على الكرم الذي هو إحدى دلالات اللون الأسود كما سبق.

وقوله في المقط[٣]:

وأسود أحشاء الدُّوي مقره يلوح لنا في حلَّة من غياهب

يعانق أشباه الرماح وتعتلي قواه شبيهات السيوف القواضب

فالمقط أسود شديد السواد كأنه قد لبس حلة من الظلام، يريد أن يعانق أشباه الرماح، والسيوف، فكأنه داخل وسط معمعة الحرب، يصول فيها ويجول، وهو بذلك ينطبق عليه قول العرب: "لبس فلان لبس

(١) اللون ودلالته في شعر البحتري (ص: ٢٦).

(٢) أبو طالب المأموني حياته، شعره، لغته (ص: ٢١٨). حجر الحمام: حجر أسود خشن يستخدم في تنظيف الرجل. والكورة أو الكوارة: شيء يتخذ للنحل من القضبان، وهو ضيق الرأس. المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، (٧/ ١٣٦).

(٣) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٨)، المقط: هو الآلة التي تبرى بها الأقلام من قولهم: "قططت القلم قطا" إذا قطعت رأسه عرضا في بريه. المصباح المنير (٢/ ٥٠٨) مادة (قطط). الدوي: جمع دواة وهي التي يكتب منها. مقاييس اللغة (٢/ ٣٠٩) مادة (دوي)، والغياهب: جمع غيهب، وهو الظلمة، مختار الصحاح (ص: ٢٣١) مادة (غهب).

الأساود"إذا تجرد للقتال واستعد للحرب[١].

المطلب الثالث: اللون الأحمر.

يعد اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها الناس في الطبيعة، وهو ساخن ممتد من وهج الشمس، واشتعال النار والحرارة، ويضفي قدراً من الحيوية والنشاط[٢]. وقداستخدم العرب في لغتهم للدلالة على درجات الحمرة أمرين: الأول: إطلاق الاسم فمن ذلك: الأرجوان: شديد الحمرة، البهرمان: لِمَا دون الأرجوان. والمشبع: الثوب في أول درجات الحمرة. المضرج: أشد حمرة من المشبع. المورد: الثوب أشد حمرة من المضرج[٣]. وتارة يستخدمون الوصف للدلالة على درجة الحمرة؛ فالشديد الحمرة يقال له: أحمر قاني، ونِكع، وعاتك، وذريحي، وثقيب، وحانط، وغضْب. أما الحمرة الخالصة الصافية المشرقة فيقال له: أحمر ناصع، ونصاع، ويانع، وزاهر وناضر[٤].

وقد استعير هذا اللون عند العرب لدلالات كثيرة، فيقال: احمرت الحدق، إذا بلغ القتال أعلاه، وتجاوز غضب المقاتلين مداه، قال زيد الخيل[٥]:

هلا سألت بني نبهان عن نسبي عند الطعان إذا ما احمرت الحدق

ويقال: حمر القسي، لمن كانوا كثيري الغزو والإغارة، وفي هذا يقول الشنفرى الأزدي[٦]:

وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغز يغنم مرة ويشمت

(١) ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب (ص: ٤٤٦).

(٢) اللون ودلالته في شعر البحتري (ص: ٣٥).

(٣) الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى- عبد الفتاح الصّعيدى، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي- قم، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠هـ، (١/ ٣٩١).

(٤) اللغة واللون (ص: ٤٣، ٤٤).

(٥) التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، (٢/ ٤١٧).

(٦) المفضليات؛ للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة، (ص: ١١٠).

ويقال: سنة حمراء، إذا كانت قليلة المطر، واحمرت السماء، قال الأعشى(١):

إذا احمر آفاق السماء وأعصفت ... رياح الشتاء، واستهلت شهورها

وقد يكنى به عن العجمة، فالعرب تصف من ليس عربيًا بالحمرة قال حسان بن ثابت ﷺ(٢):

يسعى بها أحمر، ذو برنس ... مختلق الذفرى، شديد الحزام

هذا وقد تعددت دلالاته؛ نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح، والآخر يثير الألم والانقباض، فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والخطر، ومن ارتباطه بلون النار فهو يعبر عن الغواية والشهوة الجنسية، ومن ارتباطه بالذهب والياقوت والورد استعمل رمزا للجمال، ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة استعمل رمزا للحياء والخجل تارة، وأخرى للغضب(٣).

وفي شعر المأموني برزت بعض دلالات اللون الأحمر منفرداً فيما يلي:

فقد قال في الزبيب(٤):

وذات احمرار صادق اللون خلتها ... أرتنا بأعكان لها شطب الفصل

قد انتحلت لونا من النّحل ناصعا ... ليعلم ما تحويه من عسل النّحل

فهو يصف جمال الزبيب بأن لونه أحمر صاف كلون العسل، وأنها سمينة كما يوجي بذلك

(١) ديوان الأعشى، لأبي بصير ميمون بن قيس بن جندل، الوائلي، المعروف بأعشى قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٥٠م، (ص: ٦٨). ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب (ص: ٤٤٧، ٤٤٨).

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ص: ٢٢٥).

(٣) اللون ودلالاته في القرآن الكريم، نجاح عبد الرحمن المرازقة، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة مؤتة- الأردن، ٢٠١٠م، (ص: ٢٦، ٢٧).

(٤) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٩٠)، الأعكان جمع عكنة وهي: الطي في البطن من السمن. المصباح المنير (٢/ ٤٢٤) مادة (عكن)، والشطب: أثر فصلها عن العود من قولهم شطبت المرأة الجريد إذا شقته لتعمل منه الحصير. الصحاح (١/ ١٥٥) مادة (شطب).

وصفها بأن لها أعكان، وكل هذا مما يضفي عليه بهاء وحسنًا وجمالاً.

وقال في الوشاة[1]:

فَكنت يُوسُف والأسباط وَأَبُو الأسباط أَنْت ودعواهم دَمًا كذبا

فهو يشبه حاله مع الوشاة بحال يوسف عليه السلام مع إخوانه حين أتوا أباهم عشاء يبكون، وزعموا أنه أكله الذئب، واستخدم الدم ليدل على الألم الذي يعتصره، والانقباض النفسي الذي يعانيه من هذه الدعوى والوشاية الكاذبة به عند الصاحب بن عباد، والنابعة عن الحسد لحظوته عنده فحسب.

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٠٨).

المبحث الثاني

ثنائية الألوان عند أبي طالب المأموني

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللونين الأبيض والأسود.

يعتبر البياض والسواد من الألفاظ المتضادة، وقد يكون التضاد بين اسمين أو فعلين، واجتماع هذين اللونين يكون جمالاً فتاناً نجده في العين الحوراء، التي هي أجمل العيون عند العرب، وفي اجتماع سواد الشعر مع بياض البشرة مما يعد من أروع آيات الجمال عندهم(١).

وقد مثلت ثنائية هذين اللونين حضوراً كبيراً في شعر أبي طالب المأموني، وكانت في المرتبة الأولى سواء كان ذلك بالنسبة للألفاظ المفردة أم المتعددة، مما يبين لنا وعي شاعرنا وإحساسه بأهمية هذه الثنائية، فهو بذلك يرسم في النص الشعري صورة لها إيحاءات دلالية تثير مشاعر وأحاسيس من يتلقاها، وقد استخدم المأموني هذه الثنائية تارة بألفاظها الصريحة، وأخرى بما يدل عليها من الألفاظ الدلالية، لكنه لم يلتزم الدلالة الأساسية لهذين اللونين- وإن كان ذلك قليلاً- فنجده مثلاً يستخدم اللون الأسود الموحي بالتشاؤم والحزن والكآبة في الدلالة على الحسن والجمال والبهاء، واللون الأبيض الدال على البهجة والصفاء والسرور والانشراح، نجده يستخدمه في التشاؤم والضعف حينما يوصف الشعر بالشيب، أو يكون الصباح محلاً للمعاناة ومكابدة المشاق، وحرارة الشمس(٢).

«ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ولهذا

(١) دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، أماني جمال عبد الناصر- خالد البيك، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، (ص: ٥٩)، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي؛ أمل محمود عبد القادر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح- نابلس، ٢٠٠٣م، (ص: ٤٠).

(٢) دلالات اللون في شعر الأعشى الكبير؛ لمحمد جار الله الثقفي، رسالة ماجستير في الآداب، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، (ص: ٤٦).

كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة»[١].

وقد استخدم المأموني هذه الثنائية في وصف الإنسان، والطعام والأدوات.

أولاً: في تصوير الإنسان:

قال عن نفسه[٢]:

ولما طمي لج المنى بين أضلعي تعسفت لجا من دجى الليل طاميا

فأمسى شجا في ظلمة الليل والجًا وأضحي قذى في مقلة الصبح غاديا

فاستخدم الشاعر هذين اللونين ليرسم لنفسه صورة تدل على عظيم مناه التي تجشم بسببها المشقة وركب لأجلها الأهوال والشدائد من السفر في دجى الليل، ومواصلة الليالي بالأيام غدواً وعشيًا، فهو يمسي مثل الغصة في سواد الليل، ويصبح كالقذى في بياض النهار.

وفي هذه الصورة يستخدم الشاعر بياض النهار الدال على الانشراح والبهجة والسرور في المعاناة ومكابدة المشقة، وهذه دلالة استثنائية سلبية لهذا اللون.

وقال أيضًا[٣]:

أَنا بَين أحشاء اللَّيَالِي نَار هِيَ لي دُخان والنجوم شرار

فَمَتَى جلا فجر الفضاء ظلامها صليت بِي الأقطار والأمصار

فالشاعر يرسم لنفسه من خلال اللونين الأبيض والأسود صورة مفادها أنه ظاهر معروف أكثر من

(١) سر الفصاحة؛ لعبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، (ص: ٦٤).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢٢٢)، طما: ارتفع مختار الصحاح (ص: ١٩٣) مادة (طمو)، اللج: معظمه البحر. مقاييس اللغة (٥/ ٢٦) مادة (لجج)، والتعسف: ركوب الأمر من غير تدبير، والأخذ على غير الطريق. الصحاح (٤/ ١٤٠٣) مادة (عسف)، والشجى: ما نشب في الحلق من غصة هم أو نحوه، مختار الصحاح (ص: ١٦٢) مادة (شجا)، القذى: ما يسقط في العين. الصحاح (٦/ ٢٤٦٠) مادة (قذي).

(٣) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٥٢).

خصـــومه، وكذلك قوي التأثير في المكان الذي يحل فيه، فهو نار ذات دخان في ظلمة الليل ترى من مســافات بعيدة، ومن ســواه كشــرر النجوم الذي يظهر بياضــه في الليل ثم ســرعان ما يختفي، ثم هو كبياض الفجر الذي يجلو سواد الليل فعندها تجد الأقطار شدة حره.

وقال في ممدوحه[١]:

إِذا ضـــمـــه الـــدســـت ألـــفـــيـــتـــه سـحـابـا مـطـيـرا وبـدراً مـنـيـرا

ويستخدم هذين اللونين لرسم صورة لممدوحه تدل على كرمه، وجماله فهو يشبهه بالسحاب المطير في كرمه وعمومه لكل من طاله، ويشــبهه في جمال الصــورة وحســنها بالبدر المنير ذي اللون الأبيض الصافي والهادئ، وما أجمل أن يجتمع الكرم وحسن الصورة وبهائها.

وهنا استخدم الشاعر اللون الأسود الموحي بالتشاؤم والكآبة في الدلالة على الكرم حينما اختار للتشبيه السحاب المطير، وهذا دليل على براعة الشاعر ومعرفته بالألوان وخصائصها.

وقال أيضـاً[٢]:

وَإِن غـم الـمـمـالـك لـيـل خـطـب جـلاه صـــبـح رَأْيـك أَو ســـنـاكـا

وهنا يبرز لممدوحه حســن الصــورة وبهاؤها تدل على رجاحة عقله، ووفور حكمته، فهو ذو رأي صـائب عند المدلهمات من الخطوب، فيشـبه الأمر الشـديد النازل بعموم البلاد بالليل الحالك السـواد الذي يجلوه ويزيل صدأه وسواده بياض رأي ممدوحه وسناه.

(١) المصدر السابق (ص: ١٤٥)، الدست: صدر المجلس. الألفاظ الفارسية المعربة (ص: ٦٣).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٨٣).

ثانياً: في تصوير الأطعمة:

قال في الجبن والزيتون[1]:

غـرامـي بِـابْـن الْـمُـبَـارَكَـة الَّـتِـي ... بـهَـا كـلـم الله الـكـلـيـم مـن الـرُّسُـل

فَـإِن نيط بِـابْن الضَّـرع بعـد احتيـاكـه ... وَبعـد اعتصـاره الـدَّهْر مَـا فيـهِ من ملل

رَأَيْـت أكـفـا فضَّـة وأنـامـلا ... بِهن خضـاب حـالـك اللَّوْن مَـا نصـل

وألفيـت مِنْهَـا أوجـه الـرّوم فَوْقهَـا ... جعود شُـعُور الزنج أَو حـدق الْمقـل

إِذا اجْتمعَـا لي لـم أمـل مَعَهُمَـا إِلَى ... أطـايـب أَنْـوَاع الـطـبـيـخ وَلـم أبـل

خليلان ضـدان الدجى وَالضُّـحَى مَعًا ... يضـمـهـمـا فـتـر مـن الأَرْض أَو أقـل

فكلني إِلَى خـدنين ذَا وضـح الـدجى ... نـقـاء عـلـى أَرض الـخـوان وَذَا طِـفْـل

فَـهَـذَا كـخـد بـالـعضـاض مُـؤثـر ... وَذَاكَ كصـدغ خَـالـك فَوْقـه انسـدل

ومن خلال ثنائية اللونين الأبيض والأسـود تظهر براعة المأموني في الجمع بين هذين اللونين المتنافرين لرسم صورة جمالية رائعة تدل على حبه للجبن والزيتون والتذاذه بهما، وشدة اشتهائه لهما، ويرسم لذلك أربع صور: الأولى في البيت الثالث. ففي هذه الصورة يشبه الجبن والزيتون بكف أبيض كالفضة خضبت أنامله بخضاب شديد السواد ليرسم لهما صورة فائقة الصفاء والجمال.

والثانية في البيت الرابع. فهو يشـبه الجبن بأوجه الروم في البياض، ويشـبه الزيتون بجعود شـعر الزنج لشـدة سـوادها، أو بحدق المقل السـوداء، وفي هذه الصـورة بيان لمحل الزيتون من الجبن فهو سواد يعلو البياض كما يعلو الشعر الأسود الوجه الأبيض، فهو تصوير رائع من زاوية أخرى من حيث الفوقية والتحتية.

والثالثة في البيتين السادس والسابع. وفي هذه الصورة يصف اجتماع الجبن والزيتون على المائدة

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٩٥، ١٩٦)، يقصد بابن المباركة الزيتون، وابن الضرع اللبن، ونيط: علق، مقاييس اللغة (٥/ ٣٧٠) مادة (نوط)، الطفل: أول الظلام. مقاييس اللغة (٣/ ٤١٣) مادة (طفل)، والفِتر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة بالتفريج المعتاد. المصباح المنير (٢/ ٤٦١) مادة (فتر).

ببياض النهار وسواد الليل لا يفصل بينهما سوى ما بين طرف الإبهام والسبابة فهما هنا متقاربان متجاوران على الخوان.

والرابعة في البيت الثامن. فالجبن هنا كخد المحبوب الأبيض الذي أثرت الأسنان فيه بضغط رقيق عند المداعبة، والزيتون كشعر صدغه الفاحم شديد السواد السبط المنسدل فوق الخد، وهو بذلك يرسم لنا صورة لأكلها لهذين الطعامين المحبوبين لديه، وتأنقه في ذلك.

وقال في كعاب الغزال(١):

وبيض ظنناهن والجام محدق بِهن كصدر هن فيهِ فؤاد

أنامل غيد مَا وصلن براحة وأعين عين مَا لَهُنَّ سَواد

فهاهنا يذكر البياض والسواد للدلالة على جمال هذه الحلوى وإعجابه بها، فهذه الكعاب ناصعات البياض موضوعات على إناء من الفضة أبيض اللون أيضا، وهن كأصابع النواعم من النساء ذوات الأنامل السمينة البيض كذلك، وكأعين العين الحور بلا سواد.

وقال في نوع من الملح(٢):

لا تدن مني الملح إِن شبته من الأبازير بألوان

وَوَجهه أبرص ذُو نمشة بَين ثآليل وخيلان

ففي هذين البيتين ذكر الشاعر البياض والسواد للدلالة على كرهه وبغضه لهذ النوع من الملح، حيث شبهه بالوجه الأبرص ذي النقط البيضاء والسوداء بين الثآليل والخيلان السوداء أيضاً، فهو وإن

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٣٩)، والجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، (١/ ١٤٩)، والغيد جمع غيداء وهي: الفتاة الناعمة. مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٢) مادة (غيد). كعب الغزال: نوع من الحلوى يصنع على مثال حافر الغزال. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، لأحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، (٥/ ٢٤١).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢١١)، شبته: خلطته. المصباح المنير (١/ ٣٢٦) مادة (شوب)، والنمش: نقط بيض وسود. الصحاح (٣/ ١٠٢٣) مادة (نمش).

ذكر اللون الأبيض فالمقصود به دلالته السلبية في هذا المرض.

ثالثاً: في تصوير الأدوات:

قال في مشطي عاج وأبنوس[١]:

لـدي مشـــطـان ذَا كـبـاز لـونـا وهـذاك كـالـغـراب

فَذا شـبـاب لـذِي مشـيـب وَذَا مشـــيـب لـذِي شـــبـاب

ففي هذين البيتين يذكر مشطين: مشط العاج أبيض اللون يشبه الباز، ومشط الآبنوس أسود يشبه الغراب، وهو يستخدم المشط الأسود حال علا رأسه المشيب، بينما كان يستخدم المشط الأبيض وقت سواد شعره وشبابه، وهذه الصورة تدل على تحسره على تقلب حاله، وبلوغه سن المشيب الموحي بالضعف وخور القوى، وقرب المنية.

ويلاحظ هنا أن الشاعر استخدم اللون الأبيض بدلالتيه الإيجابية والسلبية فهو لون المشيب الدال على الكآبة والحزن والحسرة لفقد الشباب، وهو لون المشط المستخدم في الشباب الدال على البهجة والانشراح والصورة فيه، وهذا يدل على أن الشاعر على دراية تامة بدلالات الألوان وقدرة فائقة في استخدامها للتعبير عما يجيش في نفسه من مشاعر.

وقال في المنارة[٢]:

وقائمة بَين الْجُلُوس على شـوى ثَلاث فَمَا تخطو بِهن مَكَانا

على رَأسـهَا نجل لَهَا لم تجنه حشـاها وَلا علته قطّ لبانا

يشـرد في أَعْلَاهُ كل دجنة يشـق جلابيب الظلام سِنَانًا

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٩). العاج: أنياب الفيل. المصباح المنير (٢/ ٤٣٦) مادة (عوج)، والأبنوس: ينبت في الحبشة والهند، خشبه ثمين أسود. معجم المغني، عبد الغني أبو العزم، (ص: ٩٦).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢١٠)، والشوى: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، والمراد: ما تقف عليه المنارة من الحجارة ونحوها، انظر: الصحاح (٦/ ٢٣٩٦) مادة (شوي)، والدجنة: الغيم المطبق المظلم، الذي ليس فيه مطر. الصحاح (٥/ ٢١١٠) مادة (دجن).

وفي هذه المقطوعة الشعرية يستخدم الشاعر اللونين الأبيض والأسود ليرسم لنا صورة للمنارة تدل على طولها، وبلوغها عنان السماء، حيث إن أعلى رأسها أبيض لامع كالسنان به ينفِّر، ويفرق الغيم الأسود، ويقطع جلابيب الظلام السوداء بضوئه الأبيض اللامع.

المطلب الثاني: اللونين الأبيض والأحمر.

سبق في المبحث الأول بيان دلالات اللونين الأبيض والأحمر في حالة الانفراد، وهنا نستعرض تلك الدلالات في حال الاجتماع والتمازج في صورة واحدة عند شاعرنا أبي طالب المأموني، فنجده يستخدم ذلك الإنسان والطعام والطبيعة:

أولاً: في تصوير الإنسان:

قال في ممدوحه[١]:

من يَدي كل ساحر الطّرف يجني ... الورد من وجنتيه والتفاحا

وَإِذا الزير جاوب الناي ضربا ... جاوب البلبل الهزار صياحا

في مقَام تمحو الهموم بِهِ ... النشوة عَنَّا وَتثبت الأفراحا

تطلع الشَّمْس أنجما كلما هزت ... شموس الطسوس مِنْهَا رماحا

فالشاعر هنا يستخدم هذين اللونين للدلالة على الأفراح والسرور والبهجة التي حلت في دار ممدوحه، فاستخدم اللون الأبيض المتمثل في الشمس والأنجم والطسوس اللامعة والرماح كل ذلك لكي يظهر الصفاء والأنس والفرح في هذه الدار، ويستخدم اللون الأحمر في تشبيه خدود الإماء والقيان بالورد ليظهر بذلك الجمال فترتسم صورة تجمع بين الفرح والبهجة والجمال.

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٣٤)، والزير: الوتر المحكم الفتل، المخصص (٤/ ١١)، والناي: المزمار. الألفاظ الفارسية المعربة (ص: ١٥٦)، والهزار: العندليب. المصباح المنير (٢/ ٦٣٧) مادة (هزر)، والطسوس جمع طس وهو الطست. المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٠٢).

ثانياً: في تصوير الأطعمة:

قال في الهريسة[١]:

هريسة خلتها وقد مَلأ الطباخ مِنْهَا الإِنَاء ما وسعا

درا نثيرا أسلاكه قطع في ماء ورد وصندل نقعا

فهو هنا يمزج بين هذين اللونين للدلالة على حسن منظر الهريسة وجمالها حينما يملأ الطباخ منها الإناء وكذا طيب ريحها، فهي في الإناء بيضاء كالدر المنقوع في ماء الورد طيب الريح، والصندل الأحمر، فالورد أحمر، وماؤه أبيض، والصندل أحمر وهذا لون الجمال في مثل هذه الصورة.

وَقَالَ فِي الْعُنَّاب[٢]:

يروقني العنَّاب فَبِي إِلَيْهِ انصباب

إِذْ لاحَ لي مِنْهُ أطرا ف من أحب الرطاب

يحْكى فرائد در لَهَا العقيق إهَاب

وهنا يمزج الشاعر بين اللونين الأحمر والأبيض للدلالة على ميله وإعجابه بهذا النوع من الثمار، فيشبهه بالدر الأبيض اللامع، ويشبه ما يغطيه وهو جلده بالعقيق؛ لحمرته.

فيجتمع هذان اللونان لرسم صورة العناب الجميلة الباعثة على السرور والفرح والانشراح عند الشاعر.

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٧٣)، الصندل: خشب أحمر. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (١٢/ ١٨٩).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٥)، نهاية الأرب (١١/ ١٤٣)، شجر شائك من الفصيلة السدرية له ثمر أحمر لذيذ الطعم. المعجم الوسيط (٢/ ٦٣٠)، حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص. المعجم الوسيط (٢/ ٦١٦).

وقال في نوع من الحلوى[١]:

وَضــرب من الحلوى أكني عن اســمه لوجدي بِمن يعزى إِلَيْهِ وينســب

يصــدق مَـعْـنَـاهُ اسْــمـه فَـكَـأَنَّـهُ بنـان وأطراف البنـان مخضــب

وفي هذين البيتين يمزج الشــاعر بين اللونين الأبيض والأحمر ليدل بذلك على ولعه وغرامه وشــدة تعلقه بهذا النوع من الحلوى، فهو يشــبه ببنان المرأة المحبوبة المعشــوقة في شــكله ولونه الأبيض، والمخضب بالحمرة في أطرافه ليرسم صورة جميلة رائعة.

ثالثاً: في تصوير الطبيعة:

قال في جمر خبا بعد اشتعاله[٢]:

أمـا ترى النَّـار كَيفَ أسـقمهـا القر فـأضــحـت تخبو وحينـا تسـعر

وَغـدا الْـجَـمْـر والـرمـاد عَـلَـيْـهِ في قـميصــين مـذهـب ومعنبر

ففي هذين البيتين يستخدم الشاعر اللونين الأبيض والأحمر للدلالة على جمال وروعة صورة الجمر حينما يعلوه الرماد، فيستخدم التشبيه لإيضاح هذه الصورة فالجمر كالذهب في احمرار اللون وحسن منظره، لاسيما حينما يجتمع مع اللون الأبيض للعنبر فيرسم صورة فنية رائعة لهذا المشهد.

المطلب الثالث: اللونين الأبيض والأصفر.

يحسن بنا قبل البدء في دراسة ثنائية هذين اللونين أن نبين دلالات اللون الأصفر؛ لكونه لم يسبق ذكرها في هذا البحث:

فالصــفرة لون معروف يكون في النبات والحيوان وغير ذلك مما يقبلها، والأصــفران: الذهب والزعفران[٣].

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٩)، والقر: البرد، مقاييس اللغة (٥/ ٧) مادة (قر)، وخبت النار: خمد لهبها. المصباح المنير (١/ ١٦٣) مادة (خبأ).

(٣) لسان العرب (٤/ ٤٦٠) مادة (صفر).

وقد عبر العرب عن اللون الأصفر بألفاظ متعددة للدلالة على صفات هذه اللون ودرجاته، فقالوا: أصفر فاقع، وفقاعي، وأصفر وارس(١).

استخدم العرب هذا اللون في معناه الحقيقي، وما يهمنا هنا هو معناه الدلالي الكنائي والمجازي، وقد ورد ذلك في مقولات لهم معروفة، فيقال: "اصفر وجهه" للدلالة على الخوف والجبن، و "اصفرت أنامله" كناية عن الموت(٢)، قال لبيد(٣):

وكلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدخُلُ بَينَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنَامِلُ

وقد ورد في القرآن الكريم بدلالتيه الإيجابية والسلبية؛ قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}(٤)، بمعنى تعجب الناظرين، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ}(٥)، وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}(٦).

فقد جاء الأصفر في المرحلة الأخيرة من مراحل عمر النبات، فهو بذلك يدل على الجفاف

(١) اللون في الشعر الأندلسي، غبير فايز الكوسا، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة البعث- سوريا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، (ص: ٢٥١، ٢٥٢).

(٢) ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ع٣، م٣٣، ص ٤٥٠.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لأبي عقيل لَبِيد بن ربيعة بن مالك العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، (ص: ٨٥).

(٤) سورة البقرة، آية ٦٩.

(٥) سورة الزمر، آية ٢١.

(٦) سورة الحديد، آية ٢٠.

والذبول[١].

وأهم خصائص اللون الأصفر اللمعان والإشعاع، والإثارة والانشراح، ولأنه أخف من الأحمر فهو أميل إلى الإيحاء منه إلى الإثارة[٢].

هذا وقد تعددت دلالات هذا اللون كغيره من الألوان الأساسية، فيحمل في الجانب الإيجابي من الدلالات الدفء والنشاط، والتنوير، والحماسة، والحكمة، والتفاؤل، والأمل، والمرح، والوضوح، والثقة، والقوة، وله في الجانب السلبي دلالات أخرى، فاقترانه بالنار يوحي بالحقد والحسد والضغينة، والخيانة، وارتبط أيضًا بالمرض والشحوب والقحط، والجدب[٣].

وقد مزج شاعرنا هذين اللونين في الأطعمة، والأدوات فمن ذلك:

أولاً: في تصوير الأطعمة:

قال في الجوذابة[٤]:

جوذابة فوراة في دهنها المنسكب
كَأَنَّهَا قد ركبت في جامها بلولب
لائحة في أهبها آثَار عض اللهب
كنقرة من فضَّة في حقة من ذهب

فيستخدم المأموني اللونين الأبيض والأصفر للدلالة على إعجابه بهذا النوع من الطعام، وشدة اشتهائه

(١) اللون ودلالته في شعر البحتري (ص: ٥١).

(٢) اللون ودلالاته في القرآن الكريم (ص: ٢٩).

(٣) اللون ودلالته في شعر البحتري (ص: ٥١)، اللون ودلالاته في القرآن الكريم (ص: ٥٢).

(٤) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٧)، الجوذابة: طعام يتخذ من رقاق الخبز حيث توضع في التنور ويعلق عليها جدي ونحوه يشوى ويقطر دهنه عليها. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩-٢٠٠٠م، (٢/ ٣٣٢)، والنقرة: القطعة المذابة من الفضة. المصباح المنير (٢/ ٦٢١) مادة (نقر).

له، فهي كالفضة في بياضها وصفاء لونها، وما يسيل عليها من دهن الشواء كالذهب في اصفراره. فاستخدم البياض للدلالة على صفاء لونها، واصفرار الذهب؛ لبيان إشراقها ولمعانها، فاجتمع من ذلك صورة رائعة لهذا الطعام.

وقال في القشمش[١]:

كَـأَنَّـهُ أوعـيـة يحملن ذوب الضَّـرْب

أَو لُؤْلُؤ قـد حلى أَعْلا هُ بِـمَـاء الـذَّهَـب

ويستخدم المأموني اللونين الأصفر والأبيض للدلالة على حسن وبهاء هذا الزبيب الفارسي، فيشبهه باللؤلؤ في البياض والصفاء، وهذا اللؤلؤ قد شرب أعلاه ماء الذهب الأصفر فكان أن أصبح لونًا أصفر ممزوجًا بأبيض ليجتمع فيه الصفاء والجمال والإشراق.

وَقَالَ فِي الْبيض المفلق[٢]:

يـاقـوتـة مَـا ضـمـهَـا مـخـنـقـة في درة في حـقـة مـحـقـقـه

كَـأَنَّـهَـا وَقـد غَـدَتْ مـفـلـقـة مـذ نشـرت أثوابهـا المرقـه

تبرحوته من لجين بوتقه

فالشاعر هنا يستخدم اللونين الأبيض والأصفر للدلالة على روعة وجمال البيضة، فصفارها كياقوتة في الاصفرار، وبياضها كبياض الدر، وإذا شقت فإنها تشبه قطعة ذهب صفراء تحويها إناء من فضة.

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٥)، الضرب: العسل الغليظة، كأنها ضربت ضربًا. مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٩) مادة (ضرب)، وعل: شرب. المصباح المنير(٢/ ٤٢٦) مادة (علل). القشمش: زبيب صغير ليس له نوى. المعتمد في الأدوية المفردة؛ الملك الأشرف عمر ابن يوسف بن عمر بن رسول الغسَّاني التُّركُماني، ضبطه: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م (٢/ ٢٦).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٧٩)، المفلق: المشقوق. مختار الصحاح (ص: ٢٤٣) مادة (فلق)، ويقصد أن البيضة قد شقت حتى بدا صفارها. والياقوتة: حجر من الأحجار الكريمة يستخدم للزينة، وهو على ألوان منها الأصفر. المعجم الوسيط (٢/ ١٠٦٥)، واللجين: الفضة. تهذيب اللغة (١١/ ٥٦).

فالياقوت والذهب لونهما أصفر يستفاد منه اللمعان والإشراق، والدر والفضة لونهما أبيض يفيد الحسن والبهاء والنقاء فاجتمع من ذلك صورة جميلة رسمها الشاعر لبيضة.

ثانياً: في تصوير الأدوات:

ومنها قفص الطيور الذي قال فيه(١):

وَبَيت لبنات الجو لا يستر من فيهِ
حفيظ للَّذي استحفظ لَكِن لا يواريه
حكت أعمدة الفضة والتبر سواريه

يمزج هنا المأموني بين هذين اللونين ليرسم لنا صورة للقفص في قمة الحسن والبهاء حيث إن سواريه تشتمل على بياض الفضة، واصفرار الذهب فهما لونان متجاوران في كل سارية يبعثان على الصفاء والنقاء والإشراق والجمال.

المطلب الرابع: اللونين الأبيض والأخضر.

الخضرة: لون معروف بين السواد والبياض، يكون في الحيوان والنبات وغيرهما مما يقبله.

وللأخضر دلالات ومعاني مجازية في لغة العرب منها:

الدلالة على سعة الرزق، ورغد العيش ومن ذلك قولهم: عيش أخضر، ومخضر الجناب.

الدلالة على الكثرة، فيقولون: كتيبة خضراء، إذا كانت كثيرة السلاح.

ويكنون به البحر؛ لكثرة عطائه(٢)، قال حسان(٣):

فهل يستوي ماءان أخضر زاخر وحسي ظنون، ماؤه غير فاضل

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢٢٠)، والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب. مختار الصحاح (ص: ٤٤) مادة (تبر)

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٤٣)، الإفصاح في فقه اللغة (٢/ ١٣٣٢).

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ص: ١٨٦).

ويوصف الرجل بأنه خضرم، إذا كان كثير العطاء كريمًا، قال حسان[١]:

ونـدمـان صـــدق تـمـطـر الـخـيـر كـفـه إذا راح فـيـاض الـعـشـــيـات خضـــرمـا

والأخضر لون الخصب، والنماء، فهو قرين الأشجار ويرتبط بالحقول والحدائق؛ لذلك ارتبط بالنعيم في الجنة، وقد ورد وصـفًا للباس أهل الجنة في قوله تعالى: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُـنْدُسٍ خُضْـرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}[٢]، وقوله تعالى: {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُـنْدُسٍ وَإِسْـتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ}[٣]، ومقاعدهم في قوله تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}[٤][٥].

وقد استخدم المأموني مزيج اللونين الأبيض والأخضر فيما يلي:

أولاً: في الأدوات:

قال في كوز أخضر[٦]:

وبـديعـة لـلـريـم مِـنْـهَـا جـيـدهـا حـارت عُيُون النَّـاس في إبـداعهـا

كـخـريـدة في مـرط خَـز أخضـــر رفعـت يـدا لِترد فضـــل قنـاعهـا

وهنا يستخدم الشاعر اللونين الأبيض والأخضر للدلالة جمال هذا الكوز، فيشبهه بالمرأة البكر التي لم تمس إذا لبست ثوب حرير أخضر، وأخرجت إحدى يديها منه لرد قناعها الساقط.

فالكوز ذو لون أخضر كثوب الحرير، وعنقه كيد الخريدة بياضـًا ونعومة، فاجتمع صفاء ونقاء

(١) المصدر السابق (ص: ٢١٨).

(٢) سورة الإنسان، آية ٢١.

(٣) سورة الكهف، آية ٣١.

(٤) سورة الرحمن، آية ٧٦.

(٥) اللغة واللون (ص: ١٦٤).

(٦) أبو طالب المأموني- حياته، شـعره، لغته (ص: ١٧٤)، والريم: الظبي الأبيض. فقه اللغة (ص: ٦٩)، والخريدة: الجارية البكر. مقاييس اللغة (٢/ ١٧٦) مادة (خرد).

اللون الأبيض مع اللون الأخضر الموحي بالخصب والجمال فكانت صورة ساحرة بهية لهذا الكوز.

ثانياً: في تصوير النباتات:

قال في الباقلاء الأخضر(١):

وبـــاقـــلاء أَزْهَـــر مثل ســموط الجَوْهَر

تضـــمـــه أوعـــيـــة من الحَرِير الأَخْضَـــر

وفي هذين البيتين يمزج الشاعر بين هذين اللونين للدلالة على حسن منظر الباقلاء، فهو يشبه في البياض خيط خرز الجواهر، وأوعيته تشبه الحرير في الخضرة، فكانت لوحة بهية تجمع بين بهاء اللون الأبيض، وجمال وحسن اللون الأخضر.

وقال في الجوز الرطب(٢):

ومحقق التـدوير يعرب نَفعـه من كف من يجنيه مَا لم يكســر

در يســـوغ لآكـلـيـه ضـــمـه صـــدف تكون جِسْـمه من عرعر

متـدرع في السّـــلم ثوب غلالة درعـا مُـظَـاهـرَة بِـثَـوْب أَخْضَـــر

فاستخدم الشاعر هذين اللونين ليصف الجوز بالجمال وحسن المنظر، فشبهه بالدر ذي اللون الأبيض، الملفوف في ثوب أخضر، والأخضر والأبيض لونان يدلان على الحسن والبهاء والجمال.

المطلب الخامس: اللونين الأسود والأحمر.

سبق في المبحث الأول بيان دلالات هذين اللونين، وهنا نتلمس ما يوحي اجتماعهما في الصور التي يرسمها لنا الشاعر المأموني، وقد استخدم ذلك في الأدوات دون غيرها من الأشياء.

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شـعره، لغته (ص: ١٦١)، أزهر: أبيض مشـرق. مختار الصـحاح (ص: ١٣٨) مادة (زهر)، والسموط جمع سمط وهو: الخيط مادام فيه الخرز. مختار الصحاح (ص: ١٥٤) مادة (سمط).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شـعره، لغته (ص: ١٦٠). والدر جمع درة وهي: اللؤلؤة العظيمة الكبيرة. المعجم الوسيط (١/ ٢٧٩)، غلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الثوب والدرع مما يلي الجسد. الصحاح (٥/ ١٧٨٣) مادة (غلل)، والمظاهرة: البروز، والظهور. مقاييس اللغة (٣/ ٤٧١) مادة (ظهر).

قال في السفود[1]:

وأسمر قد لفح السعير إهابه ينوء بحجز من ثنياته سمر
إذا ضم أَنْوَاع السميط وَحط فِي بعيدَة قَعْر مَاؤُهَا لَهب الْجَمْر
أَتَاك بِمَا فِي ضمنهَا فَكَأَنَّهُ محب كوى أحشاءه ألم الهجر

فاستخدم الشاعر اللونين الأسود المتمثل في السمرة، والأحمر المتمثل في الجمر للدلالة على إعجابه واشتهائه لهذا النوع من الطعام الطيب؛ لما تضمنته هذه الصورة اللونية، فاحمرار اللهب يثير ويهيج عاطفته نحو الشواء المنضود على السفود، كما أن سمرته وسواده توحي بشدة حرارته المُنضجة للحم من الداخل.

وقال في الجَمْر والمدخنة[2]:

وقوارة من أَدِيم الصخور تخيم في حلل الخيزران
تقري قطاعا كعرف الحبيب وترقى وَلَيْسَ بهَا مس جَان
وتمنع عَن مثل حر الْقُلُوب من الْجَمْر مَا إِن لَهَا من دُخان

وهاهنا استخدم اللونين الأسود المتمثل في الدخان، والأحمر المتمثل في الجمر ليبين لنا صفة قلبه ومن شابهه من الرجال من كظم الغيظ داخله حتى لا يبدو منه شيء، فلون الجمر يدل على شدة الغيظ لكنه لون ليس له دخان يتصاعد بل هو غيظ مكتوم.

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٦٣). السفود: حديدة ذات شعب معقفة يشتوى بها. المخصص (١/ ٤٢٠). السميط: الجدي المشوي بعد نزع شعره دون جلده. تهذيب اللغة (٧/ ١١٨).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢١٣). القوارة: المدخنة المقورة من الوسط. والخيزران: نبات لين القضبان أملس العيدان. المعجم الوسيط (١/ ٢٣١).

المبحث الثالث: تعدد الألوان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثلاثية الألوان.

لم يقتصر الشاعر المأموني على الألوان المفردة والثنائية، بل أيضًا كان لتعدد الألوان في شعره حضور – وإن كان أقل من سابقيه- لرسم صور شعرية، فقد جمع بين الألوان في نصوصه الشعرية، وقد استخدم الألوان الثلاثية في وصف ممدوحه، وبعض الأدوات والأطعمة:

فقال في ممدوحه(١):

حقنت يداه دم المكارم مذ غدا دم كل حر فاه وهو جبار

طبعت مزينة منه عضبا ماله في غير هامات الأسود قرار

آراؤه بيض الظبى وحديثه روض الربى ويمينه تيار

وهنا يدمج الشاعر بين الألوان الثلاثة: الأحمر لون الدم، والأبيض لون حد السيف، والأخضر لون الروض للدلالة على كمال خصال ممدوحه وحسنها، فيداه الكريمتان حقنتا دم المكارم بعد سفحه، ورأيه كحد السيف في صفائه ومضائه، وحديثه حلو لا يمل، ويبعث الحياة كما تبعثها خضرة الربى.

وقال في طست الشمع(٢):

وحديقة تهتز فيهَا دوحة لم ينمها ترب وَلا أمطار

فصعيدها صفر ونامي غصنها شمع وَمَا قد أثمرته نَار

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٥٣)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (٤/ ١٨٨)، والعزمات جمع عزمة، وهي الاجتهاد، والجد في الأمر. المصباح المنير (٢/ ٤٠٨) مادة (عزم)، والقضب جمع قاضب: وهو السيف القاطع. مقاييس اللغة (٥/ ١٠٠) مادة (قضب)، والظبى جمع ظبة وهو حد السيف وطرفة. الصحاح (٦/ ٢٤١٧) مادة (ظبى).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٥٦)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (ص: ٣٨٤)، الدوحة: الشجرة العظيمة. تهذيب اللغة (٥/ ١٢٤).

وهنا يمزج الشاعر بين اللون الأصفر للنحاس، والأبيض للشمع، والأحمر للنار ليرسم لنا صورة فيها وصف عجيب للشمعة المشتعلة، فيشبهها بشجرة عظيمة نمت بلا تراب ولا مطر، فأعلى هذه الشجرة أصفر كالنحاس، ويعني بذلك أعلى نار المشتعلة، وأغصانها النامية بيضاء كالشمع، وأما ثمرتها فهي النار ذات اللون الأحمر.

وقال في وصف العُجة[١]:

عِنْدِي للضيف عجة شَرقَتْ بدهنها فَهِيَ أعجب الْعجب

قد عضت النَّار وَجهَهَا فغدت كياسمين بالورد منتقب

وفي هذين البيتين يجمع الشاعر بين اصفرار الدهن، واحمرار النار والورد، وابيضاض الياسمين ليدل بذلك على احتفائه بضيفه وإكرامه؛ حيث صنع له هذا الطعام الشهي الذي يشبه وجهها حين تنضجه النار بياض الياسمين المنتقب بالورد الأحمر فجزء منها أبيض وآخر أحمر.

وقال في وصف الشواء[٢]:

طرا طَارِئ عِنْد الْعشَاء فَجِئْته بقرص غضيض من شواء ابن زنبور

تخال قطاع المسك رصع رصفها بفيروزج النعناع في صحن كافور

فاستخدم الشاعر المسك ذا اللون الأسود، والفيروزج ذا اللون الأزرق المائل إلى الخضرة، والكافور ذا اللون الأبيض للدلالة على كرمه وحسن ضيافته لمن نزل به في الليل، وهو بذلك يرسم صورة فنية للشواء الذي قدمه له.

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١١٦)، والعُجة: دقيق يعجن بسمن ثم يشوى. لسان العرب (٢/ ٣١٩) مادة(عجج).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٦٣)، يتيمة الدهر (٤/ ٢٠٩)، الغضيض: الطري. مختار الصحاح (ص: ٢٢٧) مادة (غضض)، ابن زنبور: شواء معروف في زمن المأموني، والفيروزج: نوع من الأحجار الكريمة لونه أزرق إلى الخضرة قليلاً.

المطلب الثاني: رباعية الألوان.

حضرت الصورة ذات الألوان الرباعية في شعر المأموني بصور قليلة، دون ما سبقها من الألوان بأنواعها المذكورة فيما سبق من ثنايا هذا البحث، وقد استخدم ذلك في صور منها: وصف دار ممدوح له، وفي وصف المطعومات من فاكهة، ومربيات:

قال في وصف دار لأحد ممدوحيه[١]:

بهوها يمْلأ الْعُيُون بهاء صحنها يمْلأ الصُّدُور انشراحا

شيدها فضَّة وقرمدها تبر قد امتيح من نداك امتياحا

وثراها من عنبر شيب بالمسك فَإِن هبت الصِّبَا فيهِ فاحا

فالشاعر في هذه الأبيات يمزج بين أربعة ليرسم لدار ممدوحه صورة حسنة جميلة تشرح الصدر، وتبهر العيون، فالآجر الذي بنيت به أحمر اللون كالتبر، وطلاء جدرانها أبيض كالفضة؛ وترابها كالعنبر المخلوط بالمسك مما يجعل لونه أملح، ورائحته تفوح بأطيب الطيب، فينتج عن كل ذلك الصفاء والراحة النفسية والجمال.

وقال في البطيخ[٢]:

مُحَقَقَة ملْء الكفوف كَأَنَّهَا من الجزع كبرى لم ترض بنظام

لَهَا حلَّة من جلنار وسوسن مغمدة بالآس غب غمام

تمازج فيهَا لون صب وعاشق كَسَاه الهوى والبين ثوب سقام

وأبدي لَهُ فِي النَّحْر تخضير كاعب علامته ذَات اعْتِدَال قوام

---

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٣١)، البهو: البيت المقدم أمام البيوت. مقاييس اللغة (١/ ٣٠٧) مادة (بهو)، صحن الدار: وسطها. المصباح المنير (١/ ٣٣٤) مادة (صحن)، والشيد، بالكسر: كل شيء طليت به الحائط من جص أو ملاط. الصحاح (٢/ ٤٩٥) مادة (شيد)، والقرمد: الآجر الذي يبنى به. تهذيب اللغة (٩/ ٣٠٥).

(٢) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ٢٠٢)، الجُلَّنار: زهر الرمان. القاموس المحيط (ص: ٣٦٧)، والسوسن: نبات أجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض. لسان العرب (١٣/ ٢٢٩) مادة (سوسن)، الآس: شجر دائم الخضرة بيضي الورق أبيض الزهر. المعجم الوسيط (١/ ١).

رياضية مسكية عسلية لَهَا لون ديباج وَعرف مدام
إِذا فصلت للأل حاكت أهلة وَإِن لم تفصل فَهِيَ بدر تَمام

ففي هذه الأبيات يستخدم الشاعر ألوانًا متعددة للدلالة على حسن البطيخ، فالجلنار أحمر اللون، والسوسن أبيض، والآس دائم الاخضرار، ولون العاشق الصب أصفر، والمسك أسود اللون، والعسل أحمر مائل للصفرة، وكذا الخمر، ولون البدر أبيض، وهكذا يرسم من هذه الألوان المتعددة صورة شعرية رائعة لهذا النوع من الفاكهة تدل على ولعه به حد الصبابة والغرام.

وقال في الأترج المربى[1]:

وَرب سوس من الأترج متقد اللَّوْن اتقاد السرج
يعوم من إنائه في مزج مجت عَلَيْهِ النَّحْل أَي مج
فَقَامَ من رضابها في لج بِظَاهِر كَقطع الخلنج
أَو الْعقار اعتللت بالمزج غصت بِهِ فوهاء مثل البذج
سليمَة من كلف وسحج نقية كالعاج أَو كالثلج
قد خرطت على قوي النسج حرم ثوب الْخَيل بالبرطنج

وهنا يمزج الشاعر بين عدة ألوان لكي يصف منظر وطعم الأترج المربى، فلون الأترج ذهبي، ومثله العسل، والخمر، والخلنج، والعاج والثلج ذات لون أبيض، وأما الكلف فهو أقرب للسواد منه إلى الحمرة، فاجتمع بذلك صورة حسنة جميلة فيها صفاء وجمال، وزادها حسنًا حين سلمت من اللون الأسود في الكلف الدال على التشاؤم والكآبة.

(١) أبو طالب المأموني- حياته، شعره، لغته (ص: ١٢٢)، الأترج: شجر ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء. المعجم الوسيط (١/ ٤)، والعقار: الخمر. المخصص (٣/ ١٩٣)، الخلنج: شجر لونه بين الحمرة، والصفرة. الألفاظ الفارسية المعربة (ص: ٥٦)، والفوه: سعة الفم، الصحاح (٦/ ٢٢٤٤) مادة (فوه)، البذج: الحمَل الضعيف. المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٣٦٥)، والكلف: لون بين السواد والحمرة تعلو الوجه. مختار الصحاح (ص: ٢٧٢) مادة (كلف)، السحْج: القشر بالوجه. مختار الصحاح (ص: ١٤٣) مادة (سحج).

خاتمـــة

وبعد أن أنهيت هذا البحث أذكر هنا ما توصلت إليه من نتائج:

- وظَّف أبو طالب المأموني الألوان في شـــعره بدلالتها المعروفة عند العرب فاللون الأبيض دال على الصفاء وباعث على التفاؤل، والأسود موحي بالتشاؤم، ولم يستخدم الألوان في دلالاتها السلبية إلا في مواضع قليلة جداً.
- مزج المأموني بين أكثر من لون، وكان اللون الأبيض الأكثر ذكراً لاسيما عند تتبع الألوان الثنائية.
- كثرة استخدامه للألوان مقارنة بقلة ما وجد من شعره.
- تبيَّن من هذه الدراسة أن أكثر الأشياء حضورا في شعر المأموني هو الطعام والشراب فقد غلب على شعره مما يوحي بأنه كان مولعًا به لحد الشره.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أبو طالب المأموني حياته، شعره، لغته، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة الرشاد- بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- الأصمعيات لعبد الملك بن قريب الأصمعي، المحقق: احمد محمد شاكر- عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.
- الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى- عبد الفتاح الصّعيدى، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي – قم، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ.
- ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، لإبراهيم محمود خليل، ضمن مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد ٣٣، ٢٠٠٦م.
- الألفاظ الفارسية المعربة، لآدي شير، دار العرب للبستاني- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- بحوث ودراسات في اللهجات العربية، مجمع اللغة العربية –القاهرة.
- التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩-٢٠٠٠م.
- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف- القاهرة، ١٩٨٥م.
- دلالات اللون في شعر الأعشى الكبير؛ لمحمد جار الله الثقفي، رسالة ماجستير في الآداب، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، أماني جمال عبد الناصر- خالد البيك، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ديوان الأعشى، لأبي بصير ميمون بن قيس بن جندل، الوائلي، المعروف بأعشى قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٥٠م.
- ديوان البحتري؛ لأبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ديوان النابغة الذبياني، لزياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، الغطفاني، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- ديوان حسان بن ثابت؛ لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ عبدأ مهنا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
- ديوان سحيم، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٥٠م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لأبي عقيل لَبِيد بن ربيعة بن مالك العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.
- رسالة في الألوان؛ لمحمود شكري الألوسي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الأول، الجزء الثالث، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م.
- سر الفصاحة؛ لعبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- سنن ابن ماجه؛ لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- شرح مقامات الحريري؛ لأحمد بن عبد المؤمن بن موسى الشُّريشي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦م/ ١٤٢٧هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم؛ لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- فقه اللغة وسر العربية؛ لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، المحقق: جمال طلبة، الناشر: دار الكتب العلميّة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- فوات الوفيات؛ لمحمد بن شاكر الكتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى١٩٧٣م، ١٩٧٤م.
- قاموس الألوان عند العرب، لعبد الحميد إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٩م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤هـ.
- اللغة واللون؛ أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٧م.
- اللون في الشعر الأندلسي، غبير فايز الكوسا، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة البعث-سوريا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي؛ أمل محمود عبد القادر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح- نابلس، ٢٠٠٣م.

- اللون ودلالاته في القرآن الكريم، نجاح عبد الرحمن المرازقة، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة مؤتة- الأردن، ٢٠١٠م.
- اللون ودلالته في شعر البحتري؛ نصرة محمد شحادة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الخليل- فلسطين، ٢٠١٣م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان- بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.
- المعتمد في الأدوية المفردة؛ الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول الغسَّاني التُّركُماني، ضبطه: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- معجم المصطلحات العلمية العربية، لفايز الداية، الناشر: دار الفكر – دمشق.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.
- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، لأحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور
- المفردات في غريب القرآن؛ للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- المفضليات؛ للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة.
- الملمع، لحسين بن عبد الله النمري، تحقيق: وجيهة أحمد السطل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

فهرس موضوعات البحث

الملخص ٩٧٩
المقدمـــة..... ٩٨١
المبحث الأول: أحادية الألوان..... ٩٨٢
المطلب الأول: اللون الأبيض ٩٨٢
المطلب الثاني: اللون الأسود..... ٩٨٩
المطلب الثالث: اللون الأحمر. ٩٩٢
المبحث الثاني: ثنائية الألوان عند أبي طالب المأموني ٩٩٥
المطلب الأول: اللونين الأبيض والأسود. ٩٩٥
المطلب الثاني: اللونين الأبيض والأحمر..... ١٠٠١
المطلب الثالث: اللونين الأبيض والأصفر. ١٠٠٣
المطلب الرابع: اللونين الأبيض والأخضر. ١٠٠٧
المطلب الخامس: اللونين الأسود والأحمر..... ١٠٠٩
المبحث الثالث: تعدد الألوان ١٠١١
المطلب الأول: ثلاثية الألوان..... ١٠١١
المطلب الثاني: رباعية الألوان..... ١٠١٣
خاتمة..... ١٠١٥
المصادر والمراجع ١٠١٦
فهرس موضوعات البحث..... ١٠٢١